الفصل الثامِن

قِصَّةُ حياتي

قال رجُلٌ يلبس سراويل لامِعاً وقميصاً مُرَبَّع النسيج وَسِخاً لابنَتِه، "تعالي إلى هنا الآن." أمسك برُسْغها وجَرَّها إلى مَدْخَل مكتبي، إنَّها آن الشعثاء. جالت عيناها في أنحاء الغرفة كأنها كانت تنظر في كلِّ مكانٍ ولاتنظُر إلى مكانٍ مُحَدَّدٍ. وتبعتها أُمُّها الصَّبورَةُ المُنْكَسِرَة.

جَلَسَ الأبُ على كرسِيٍّ وجَرَّ ابنتَهُ من رُسغها حتى حَطَّت على كُرسيٍّ بجانبِه. ووقفت الأُمُّ واجِمَةً دون حِراكٍ كأنها صورةٌ عُلِّقَت على جِدار. أخرجَ علبة سگائره واستَلَّ منها واحِدَةً وأشعَلَها دونَ أن يَسْتَأذِنَ أحَداً، وقد كانَ هذا الأمر مألوفاً في بداية سَبعينيّات القرن العشرين، ولو كان ذلك في عيادةٍ طِبِيَّةٍ كهذه في جامعة نِبْراسْكا، قرب مدرسة لِلصُّمّ تابعة للولاية.

قُلْتُ للصَّغيرة ذات السنوات التِّسْع بِلُغَةِ الإشارَة، "مَرحباً آللي." فنظرت إليَّ واجِمَةً.

قال الأبُ، "لاتَعْرف القِطَّةُ الصَّغيرة آللي لغة الإشارة."

واسْتَدْرَكَت الأُمُّ بهدوءٍ قائلةً، "إنَّها تَعرف القليلَ منها، فقد علَّمتُها إشارات الجوع، وقضاء الحاجة، والماء، ونحو ذلك."

كَشَّرَ الأبُ وتلفَّتَ باحِثاً عن موْضِعٍ ينفُضُ فيه رماد سگارَتِه. ثُمَّ اختارَ أن يَنْفضَها في راحَةِ كَفِّه، وفَرَكَها قليلاً، وتركَها تَسْقُط على الأرض. قال لي " هيّا اسألني، هل ثَمَّة خير يرجى من هذه؟"

ياله من سلبي شديد السَّلبيّة! فهَل ثمَّة قَوْلٌ إيجابي يخرُج من فَمِ هذا. إنَّه من أولئك الذين كان يُسَمِّيهم سُكّان وسط أمريكة، "المُزارِعينَ المساكين الوَسِخين" – رَجُلٌ غَضوبٌ يبعُدُ خُطُواتٍ عن العصرِ الحَجَري.

إنَّك في رؤيَتِك رجلاً مثل هذا، تضَعُ اللّومَ على جذورِه ومحيطِه وثقافَتِه، غير أن اللوم في هذا يقعُ على أخيه الأكبر – مُنْتَجٌ من المُحيطِ ذاتِه – شَقَّ طريقَهُ ليصير مُديراً وشريكاً في شركة مَحَليَّةٍ لتوزيع الأدوات. وكما ذكرتُ فيما سَلَفَ، فأنت الذي وَضَعْتَ ذاتك في ذاتِك، لَم يَضَعها أحَدٌ عَنْكَ، وإذا أحْسَنتَ الاختيار فستُعْطيكَ حياةً حَسَنةً. ويبدو لي أنَّ هذا الرَّجُلَ قد تَوَقَّف عن أي خيارٍ منذ زمنٍ طويلٍ، ويتصَرَّف الآن بردَّة فِعلٍ لمُشكلات مُتَعَدِّدَة عندما تَظْهَر هذه المُشكلات.

جاءت آللي، وهو مصَغَّر اسم آلِسُن، إلى مَدرَسَة الصّم، وهي قريبة من مدرسة الطّب، لأنّها لاتَحْصَل على تَعليم في قريَتِها النائية، حيث تُزرَع الذّرة. إنها تَسْتَطيع التَّعامُل مع بَعض الإشارات البدائيَّة – كبعض الإشارات والأصوات – وكانت تصرّفاتها فَجَّةً غير ناضِجَة.

لم يُدْرِك أبواها أنها صَمّاء حتى بَلَغَت الثالِثَة من عمرها، فلم يفحَص أحَدٌ سَمْعَها عند الولادَة وبعدَها. وتقَوْقَعَت، عند بلوغها الثالِثَة، في عالَمِها الصَّغير تلعب مع حيوانات الحَقْل تتجَوَّل لاهِيَةً وحيدَةً في مجرى للماء، بينما كانت أُمُّها تَعْمَل في رقعَة لزراعة الخَضِر.

قالت الزَّوج واسْمُها رِتّا، "يا دكتور بيكَر، ترى هَل ستستطيع أن تُعَلِّمَ آللي النّطْقَ؟ فقد رأيتُ مِثْلَ ذلك في برامج التلفزيون. إني أتَمَنَّى لو أعرف ما يدور في رأسها الصَّغير." كانت تنظُرُ إلى آللي بحُبٍّ وتَعَلُّق وحُزنٍ شديد. إنّها لم تتكلّم كلّ هذه السنين.

قُلْتُ لها، "أظُنُّ أني سأستطيع." وقد عَنَيْتُ ما قُلتُ. غير أن طبيب الأطفال الرئيسي في كليَّة الطِّب لم يُعَلِّق أملاً كبيراً على ذلك. فقد صَنَّفَ آللي "طِفلَةً وَحْشِيَّةً" وهذا التَّصنيف نظير بَشَري للحيوان المُتَوَحِّش، ورأى أن الصُّعوبة شديدة في تعليم اللغة لطفلة قد بلغت سِنَّها. قد تستطيع تعليمهم مفهوم المواد الملموسة، نحو، "الطعام" و "السَّرير،"أما الأُمور التَّجريديّة فكانت، في رأيهم، صعبةً.

قُلتُ، "ربما تبدأ بتعَلُّم لغة الإشارة."

تَنَهَّدَت رِتّا وقالَت، "يا قِصَّة حياتي، ستتعَلَّمُ صغيرتي النّطقَ أخيراً، وتتكلّم لغة لن أعرفها ولن يعرفها أبوها."

ربما تكون وجهة نَظَرٍ. قلتُ لها، "ستستطيعان تَعَلُّمَ لغة الإشارة."

حَمْلَقَ زوْجُها في وجهها ثم تابع ذلك في وَجهي قائلاً، "لا يوجد لديها الوَقْت لذلك."

ربما كِدْتُ أقع في وَرْطَةٍ معَه، غير أني كنتُ فتىً غِرّاً وغافِلاً وخائفاً منه. فقد كان عظيم الجِسْم، وكان يخيف الآخرين بِحَجْمِه. ثُمَّ إني كُنت مُعالِجاً نَفسيّاً غِرّاً، فقد دُرِّبْتُ لتَغيير أفكار النَّاس، ولم يَكُن من شأني طرائقُ عَيْشِهم، فهذان أمران مُخْتَلِفان. هكذا كان التَّفكير يومئذ، صدِّق ذلك أو لاتُصَدِّقه.

كانت آللي ترتبك خَجَلاً، وأمسَكَت بإبريق على مكتبي وبدأت تصُبُّ الماء في الكأس. قَصَدْتُ النَّظَرَ إلَيها، فقد كنت أُراجِعُ بحثاً قَدَّمَه مُعالِجٌ نَّفسي مشهور هو جان كلود پياجه Jean Claude Piaget الذي وضَعَ مُخَطَّطَ مراحِلَ النّموّ. فإن كان ما قالهُ حَقّاً، فإن طفلة مُعاقَة النّموّ مثل آللي سوف تستَقِرُّ في مَرْحَلَةِ "ما قبلَ العَمَلِيَّة"، إذ لن تَسْتَطيعَ أن تُدْرِكَ أنَّ الكأسَ لن تأخُذَ أكثَرَ من قَدْرٍ مُحَدَّدٍ من الماء، فالفِكْرَةُ تَجريدِيَّة جِدّاً.

وهكذا، انْسَكَبَ الماءُ فوقَ المَكتب.

ضَرَبَها أبوها على يَدِها وشَتَمَها، فذهَبَت إلى أُمِّها شاكِيَةً واختبأت عندها. اعتذرت الأُمُّ عما حصَلَ غير أني لم أُعِر ذلك انتباهي، فقد كُنتُ سارِحاً في عالم النَّظريَّة.

إني بالنَّظَر لما كُنتُ أقرأ عن الأطفال الذين لايَسْتَطيعون النّطق، فقد رأيت ما يَنْقُص آللي أكثر من سُبُل الكلام والاتِّصال، كان ينقُصُها القدرة على التَّعبير عن العالم من حَوْلها والتَّصَرُّف بعواطِفها.

إنَّ النظرة المُعاصِرَة للُّغَة ترى أنَّ لها قوَّةً سِحريَّة على الدِّماغ.وإننا عندما نفكِّر نستَعمِل الكلمات، فإذا لم نكن نملك الكلمات، فإن ما نُفَكِّر به سيقع في منزلة مُتَوَسِّطة. فالأفكار تبقى – من غير الكلمات – سلسلة من صور تَلْمَع ينقصها البنيان والالتحام، ولا تحْمِل معنى للماضي ولا الحاضر ولا المُسْتَقبل. ولا تَعْكِس قوانين الأسباب والآثار. فعندما تتعرَّض الأفكار إلى شيء جامِعٍ وتَسْوِيَة، تتَحَكَّم العواطِف، تتجاوز المنطق وتثور، في ضَعف مُتَقَدِّم لقوَّة الذكاء والفِطْنَة، وفي مُنْحَدَرٍ حلزوني للمعرِفة.

وهكذا، فالدِّماغ لايَقْتَصِر على إنشاء اللغة – فاللغة أيضاً تُنشئ الدِّماغ. فَتَعَرُّض الطِّفل للغة له أثَرٌ هائلٌ على قُدْرَته على المَعرفة. ويبدأ بذلك قبل وِلادَته. فقد أظْهَرَت دِراسةٌ أنَّ مولودين روس في اليوم الرابع يستجيبون أكثر للغة الروسيّة التي سَمِعوها عندما كانوا في رَحِم

أمَّهاتِهم، من استِجابَتِهم للغاتٍ أُخرى. وثمَّة دراسة تُظهر أثراً بارزاً للغة وترسم متوسِّط عدد الكلمات التي سمعها اثنان وأربعون طِفلاً كلَّ يومٍ خلال أول سنتين ونصف من حياتهم. أما أطفال الآباء والأُمهات الفصحاء فيسمعون ٢١٠٠ كلمة في كلِّ ساعة. ويسمع أطفالُ مُتَوَسِّطي الفصاحة ١٢٠٠ كلمة في كل ساعة.ويسمع أطفال الآباء والأُمَّهات الأدنى فصاحة ٦٠٠كلمة في الساعة. وعندما فُحِصَ ذكاء الأطفال كلِّهم في سنِّ الثالثة، كان الذين استمعوا إلى كلمات أكثر هم المُتَفوّقين، – وثابروا على تفَوّقهم في سنوات الدراسة.

ولعلَّ الآسِر في الأمر أنَّ الأطفال الذين سمعوا أكبر عَدَدٍ من الكلمات قد سَمِعوا الكلمات البنَّاءة أكثَر – كلمات التَّشجيع، والأمل، والدَّعم، والحب. وقد لاحظ الباحثون أنَّ الأطفال الذين لم يسمعوا كلمات كثيرة قد سمعوا عدداً متفاوتاً وغير متناسِقٍ من كلمات مُحَطِّمة وغير بنّاءَة، نحو: "أوقف ذلك!" و "هذا صوت مُرتَفِع!" و "اغْرُب عن وَجهي!"

إن لنوع الكلمات أَثَراً عظيماً على تطَوّر العاطفة. فالأطفال الذين تَعَرَّضوا للغة بنّاءة أكثر كانوا أكثر تماسُكاً، وأحسنهم تَصَرُّفاً، وأكثر قَدْراً للذات، بخلاف الأطفال الآخرين. ولم يكُن ذلك بسبب عيش أصعبَ عاشه بقيّة الأطفال، فقد كانوا يُحاطون بِحُبِّ آبائهم وأُمّهاتهم أيضاً، وليس ثمَّة ما يُشير إلى أنَّهُم عوملوا بِظُلمٍ أو تَعَسُّف. وإن أطفال الفئات الثلاث قد تَعَرَّضوا لعدد مُماثل من الأذى والصدمات، ومن ذلك طلاقُ الأبوين، والمرض، وموت الأحِبَّة.

إن الفارق الأكبر في حياة هذه الفئات كان ببساطة اللُّغَة التي شَبّوا عليها. فالأطفال الذين نشؤوا على لغة أكثر إيجابيّة يَنْزِعون إلى رؤية الدُّنيا في صُوَرٍ إيجابيَّة أكثر.

وقد يميل البعضُ، برغم ذلك، إلى النَّظَر إلى الدِّراسَة بتَقليل أثر اللغة فيقول: لم تَكُن لغة الحُبّ ذات الأثَر، وإنَما الحُب ذاته. لاشك أن الحُبّ مُهِمٌّ، غير أنَّه يُنسى ويَغيمُ دون كلماتٍ تُحَدِّده، مثل شكل غيمة قد تُشْبِه أيَّ شيء أو لاشيء حتى يُسَمّيها أحَدٌ باسم ما.

كان واضحاً حُبُّ رِتّا لابنتها آللي، غير أنَّ هذه العاطِفَةَ القويَّة لن يكون لها أثَرُها على آللي حتى يأتي اليوم الذي تستطيع فيه أن تَفْهَم معنى كلمة "أُحِبُّك" وتقولها.

لقد بَيَّن المؤلف جوزِف جاوُرسكي هذه النّظرة لأهميَّة اللغة ببيان جَلِيٍّ في كتابه *Synchronicity: The Inner Path of Leadership* *التزامُن: المَمَرُّ الداخلي للريادة*. فكتب، "بينما أعتبر أهميَّة اللغة وكيف يتعامل الإنسان مع العالم، يُدهِشُني أن تَطَوُّر اللغة، من أوجُهٍ كثيرة، يُشْبِه اكتشافَ النّار. يالها من قوَّة أساسيّة. لقد رأيت دائماً أننا نستعمل اللغةَ لوصف

العالم، وإني أرى الآن أنَّ الأمر على خلاف ذلك، فإننا نصنَع عالَمَنا من خلال اللغة، فهو ليس بشيء حتى نَصِفَه. وعندما نَصِفُه، فإننا نوجِد التمييز الذي يحكُم أعمالنا. وبعبارة أُخرى، إننا لانَصِف العالم الذي نرى، *بل إننا نرى العالم الذي نَصِف*."

إننا نرى العالم الذي نَصِف! يالها من فكرة ثوريَّة!

فكيف إذا كانت آللي – وهي صَفْحَةٌ خام – تتعلّم لُغَةً تَصِفُ عالماً ملؤه الجمال والحُبّ والقوّة الشّخصيّة؟ فماذا يكون؟

فإذا كان واضعوا النَّظريّات مُحِقّون، فسوف تبدأ آللي بتحويل هذه الكلمات إلى أفكار، وتتحوّل هذه الأفكار إلى أعمال، وتَصنَعُ هذه الأعمال حياةً جديدة. قد يكون ذلك ــ إني على يقين، مالم يُخَرِّبها أحد.

كان مَشْهداً صعباً رؤية آللي تودِّعُ أُمَّها. كانت رِتّا مُضْطَرِبَةً، وكانت آللي فَزِعَةً. لقد رَجَفَت يَدُ العصفور الصَّغير.

وكان الأصْعَب وداعُها أباها. فقد لَمَسَ رأسَها ومشى. كان صوت حِذائه يملأ المَمَرَّ ضَجيجاً.

وبقيت وآللي وَحيدَيْن، نَظَرَت إليَّ بابتِسامة عَذبَةٍ، وقد تناثَرَ على وَجْهِها شعرها الأشقر المُتَجَعِّد حتى وَصَلَ إلى وَجهي ولامَسَه. انحَنَيتُ لها وبادلتُها ابتسامَتَها. والتَقَت نظرتانا أوَّلَ مَرَّة.

أمسَكَت نظَّارتي وقَذَفَتها إلى الحائط.

لم أفقُد صوابي – إنها نَظّارة على كلِّ حال – ولم أرفَع صَوتي. غير أني تلَفَّظت بكلمة "اللعنَة."

ففي اللحظة التي قلت فيها تلك الكلمة تَجَمَّعَت كالبَطَّة، وخبأت وجهها خلف ذِراعَيها، وأطبَقَت أسنانَها.

اتَّضَحَ لي أن آللي تعرف كلمةً واحِدَةً على الأقَل.

قُوّةٌ ضِدَّ الخَوف

إنَّ استيعابَك للغة مثل استيعابك للخَوْف، مُنغَرِسٌ في أعماق دماغِك. ولقد صار هذان الاستيعابان مُتَضادَّيْن مع تطَوُّر الثقافة. فالخَوْف أكثَرُ ما يتَعَمَّق عندك، في عاطفتك الأساسيّة، واللغة أساسُ قوى فِكْرك وفِطْنَتِك. وإنَّك تخبر تَضادّهما في كلِّ مرّة تُحاول أن تَتَكلَّم وأنت في حال من الخَوْف.

فالخَوْف أكثر تَمَرْكُزاً في الدِّماغ، وتستطيع اللغة أن تكون أقوى من الخَوْف.

إن من أول استِعمالات اللغة تلك التي تخدم الطفل ضدَّ الخوف والإنذار من الخَطَر. وللحيوان لغة للإنذار. ويستطيع القِرد الإفريقي الصَّغير (vervet) أن يُنْذِرَ أترابَه القِرَدَة من اقتراب نَمِرٍ بنداءٍ خاص، فيمنحهم بذلك شعوراً بالأمن وليس الحماية فحَسْب.

فللحيوان استيعاب أكبر للغات مما يدرِك كثير من الناس. وإنّك إذا تَحَدَّثتَ مع سمكتك (الگوبي guppy) سيؤدي بك ذلك إلى إحباطٍ، ولو استطعت أن تُحَدِّثها بلِسانها، إذ لايستطيع حيوانٌ في الوجود أن يُرَكِّب جملةً مُفيدَة. وربما يستطيع أكثر الحيوان ذكاءً أن يُعطي إشارَةً لكلمات مفرَدَة، مع بعض التعديل. وإن أكثر الحيوان شهرةً بذلك، الگورِلاّ، لايستطيع تجاوز كلمات متفرِّقة نحو، "اذهب إلى السّرير."

إنَّ الاتِّصال مع الحيوان محدودٌ جداً من غير لغة الإشارة. ويستطيع القرد الهندي الصَّغير rhesus ، على سبيل المثال، أن يُصدِرَ ٣٧ صوتاً مُختلفاً، ويشكِّلُ كلّ صوتٍ منها كلمةً كامِلةً. ويستطيع الإنسان أن يُصْدِرَ ٤٤ صوتاً، غير أنَّه يستطيع أن يسلكها معاً على نحوٍ رمزي لتشكيل عدد غير محدود من الكلمات.

إن هذه المقدرة على الرَّمزيّة أو التَّجريد، هي أكبر فارقٍ عَقلي بين الإنسان والحيوان. فلا تقتَصِرُ معرفة البَشَر على الأشياء، بل يعرفون ماذا تَعني. إن قابليّة تكوين معانٍ من خلال تعديل مُعَقَّد للّغَة، تُمَكِّن الناس من قدرة لاتُصَدَّق من إيجاد سعادَةٍ في حادِثاتٍ عاديّة، حتّى في المِحَن. ولو أن إنساناً وكلباً نجيا من حادث سيارةٍ رهيب بِبعض الخدوش فقط، فقد تَجِدُ الكلب يعوي وينبح من هذه الخدوش البسيطة، بينما ترى الإنسان الذي أصابته الخدوش في هذا الحادث مُبتَهِجاً إذ اقتصر الأمر على بعض الخدوش.

إنَّ قوّة التنوير في اللغة قد تشكّلُ أثراً عقليّاً لايُتَجاوَز في عقل البَشَر. وتبيِّن الأحافير أن المخلوقات القديمة قبل ثلاثة ملايين سنة وأكثر كانت تسير مُنتَصِبَة القامَة وتُشْبِه في شكلها العام الإنسان، غير أنَّ دماغها كان لايتجاوزُ حجمُه حجمَ دِماغِ قِرْدٍ.

ويعتَقِدُ كثير من علماء الحياة أن ليس دماغ البَشَر هو الذي أحدَثَ اللغة، بل إن اللغة هي التي فَعَّلَت دماغنا الكبير.

ونجد في مُصْطَلَح علم التَّشْريح أن اللغة والتفكير الأعلى مُحاكان ضِمْنَ بعضِهما بَعضاً. وبِرُغم أنَّ أثر اللغة منتشرٌ في الدِّماغ كُلِّه، فإنَّ أكثر المراكز فعاليّة للّغَة (وبخاصَّةٍ للتفكير في شكل كلمات) يَقَع في اللحاء الأيسر الأدنى. إنَّ هذه المنطقة تُجاوِرُ وتتَعَلَّق باللحاء الأمامي الذي قبل الجبهة، التي تقوم بكثير من أعمال التَّفكير العالي.

إنَّ أعمال التفكير المُتَقَدِّمة تُمَكِّن الناس من مُتابَعَة أحداثٍ مُخيفةٍ أو مُزعِجَة دون إصدار ردَّة فعل تلقائيَّة يُحْدِثُها الرُّعب. لقد اكتُشِفَ ذلك قديماً سنة ١٨٤٠ في حال شهيرةٍ هي حال فِنيس گيج Phineas Gage مُراقب للسكك الحديديّة الذي تعرَّض لنتوءٍ معدنيٍّ كبير دَخَلَ في لحاء دماغه الأيسر الأمامي الأدنى. فقد استطاع گيج أن يعمَلَ على نحوٍ مُلائم بعد الحادث واستطاع أن يتكَلَّم، غير أنَّه فقد مَقْدِرَتَه على التَّحَكُّم بعواطِفِه السّالِبَة.

ورُبّما مَرَّت بك حالات تُشْبِه، بشَكْل أو آخر، حال گيج. فعِندما تَنْقُص قوى النيوكورتِكال عندك – بسبب إرهاقٍ أو انخِفاض السُكَّر في الدَّم – فستكون عاجزاً عن أن تُحَدِّث نَفْسك من انفِجار غضَبِك أم من أفكار مُخيفةٍ تنتابُك. وربما وَجَدْت أنَّك لاتستطيع التَّفكير القَويم – فكانت أفكارُك خليطاً من العاطِفة ومن صُوَرٍ مُخْتَلِفة.

كان روني، كما رأيتُه، ولداً صغيراً مُشاغِباً له مُشكلاتُه الخاصَّة به، أما آللي فقد كانت تراهُ غولاً صِرفاً. كان عمره ١١ سنة، وقد عاش في مدرسة الصُّمِّ سنتين، وكان قائداً حيناً ومُتَنَمِّراً أحياناً أُخرى. كان هَمُّه أن يجمعَ عصْبَةً من الصِّغار حَوْلَه ليُعَلِّمَهُم الشَّتم بلغة الإشارة. يبدو الأمرُ وَضيعاً – وقد كان كثيرٌ من الصِّغار الصُّم حسّاسين وسريعي التأثُّر. كانت السُّوقية بَعيدةً عنهُم. وكُنتُ أراهُم يمشون ذاهِلين مُجْتَنبينَ مكان روني.

لأمرٍ ما كان روني يَسْتَمْتِع بأن يُري آللي الجانب المُظلِمَ من الحياة. سألتني مرَّةً، ما مَعنى "اذهَب إلى الجَحيم؟" وليس الشَّرح بالذي تُحِبُّ أن تُقَدّمه للآخرين. لقَد بسَّطت لها الأمر كثيراً، وبرغم ذلك فقد ارتاعَت آللي لما قُلْتُ.

وناداها مرَّةً في الملعب، ("يا بنتَ الفلاح!! يا بنتَ الفلاح!!)، وقال لها مرَّة إن ثيابها من طرازٍ قديم. كانت تعلم أن ما يقوله صحيح، و لم يُزعجها ذلك من قَبْل.

عَلَّم مُراقِبُ المَلْعَب الأولادَ أن يقولوا، "العِصِيّ والحجارة تَكسر عِظامي، غير أن الكلمات لاتَجْرَحُني." كانت الكلمات كُلَّ شيء لهؤلاء الصِّغار. فقد جاؤوا إلى المدرَسَة وتركوا بيوتَهُم ليَتَعَلَّموا.

كانت آللي تغرق. كان الغَضَب ينتابُها أكثرَ من قَبْل. كان القَلَق ملازماً لعيْنَيْها.

تَدَخَّلْتُ في الأمر، واسْتَعَرْتُ روني مُساعِداً لي في أثناء العطَل. لقد اخْتَرَعْتُ عملاً له، وكنت أُعطيه أجراً من جيبي، وصِرتُ أُمْطِرُهُ بكلمات المَديح والتَشْجيع، وإن لم يكن يَسْتَحقّها. وكان يَظُنُّ أني أعتَبِرهُ أفضَلَ طلاب المَدرِسة وأذكاهُم.

وفي تلك الأثناء، كنت أرعى توثيق علاقة آللي مع مع أعذب طفلة في المدرسة، إنها ابنة معلِّمة وُلِدَت صَمّاءَ نتيجة ظروف قاسية (نتيجة حَصْبَةٍ ألمانيّة، مثل ماحَدَثَ لآللي). لم تكُن هذه البنت الصَغيرة، شَري آن، لتتَفوَّه بكلمة سوء عن أحد، وكانت الصديقة المناسبة لآللي. كنت أراهما معاً في كُلِّ مكان، تتحادَثان وتَسْمُران معاً. وقد هَرعتا إليَّ مرّةً، ممسكتين بيدي بعضهما بعضاً، وبيَّنت لي آللي تعبيراً جديداً تَعَلَّمَته. قالت، "شَري آن أفضل صديقة دائماً وأبداً." قالتها بتباهٍ كأنَّما تؤدي دعاءً.

بدأت آللي تسترجع ذاتها التي في أعماقها، وكان تحت طبقات الوقايَة في داخلها: بنت صديقة سعيدة، تُحِبُّ حياتها.

لقد تَحَسّنَ حالها كثيراً. وقد ذهِلتُ مرَّةً عندما مَرَرت بها جالِسَة على مقعد في الحديقة، وكانت الكآبة بادِيَةً عليها. لم تنتبه إليَّ عندما تقَدّمتُ نَحْوَها.

كانت تُحَدِّثُ نَفسها بلُغة الإشارة. كانت تَسْألُ نَفْسَها، "ماذا أَلَمَّ بي؟" "أين الخلل فيَّ؟"

كانت تردِّدُ عبارَتها مرّات، "أين الخلل فيَّ؟" واستَمَرَّت في تَردادِها حتّى انهَمَرَت دُموعُها على يَدَيها.

تغييرُ لُغَتِك وتَغييرُ حياتك

عندما يتَحَدَّثُ الصُمُّ مع ذواتهم بلُغَةِ الإشارة، يُنَشِّطُ ذلك المكانَ ذاته من الدِّماغ، إنَّه اللحاءُ الأماميُّ الأسْفَل الذي ينشُطُ عندما يُحَدِّثُ الناسُ أنفُسَهُم. فالانشغال بحديث النَّفس يُمَكِّن الناسَ، الصُمَّ وغيرهم، من استِشعارِ أفكارِهم والاتِّصال بحكمتهم، لأن هذه المنطقة تُجاوِرُ المنطقةَ الأساسيّة للتَّفكير الأعلى، ولأن الكلمات تَحوِّل الأفكار إلى واقِع.

إنَّ حديث النَّفس قويٌّ جداً، ويجدُر بك اختيار كلماتِك بعناية. فإذا استعمَلتَ لُغَةً مُدَمِّرةً، فسوفَ توحِلُ حكمَتَك، وتوجِد إدراكاً قد يُدَمِّرُ حياتَك.

إن القاعدة المُثلى في حديثِك إلى نَفسِك أن تُحَدِّثَ نَفسَك على النَّحو الذي ترغَب أن يُحَدِّثك الآخرون به. فكثيرون لايرغبون في أن يُوَبِّخَهم الآخرون، ويُحَدِّثون أنفُسَهم مثل الكلاب. فيقولون لأنفُسِهم، على سبيل المثال، "أنت سَمين!" أو "إنك لاتُجدي نَفعاً!" يظُنُّون أنَّهم يتَحَدّون أنفُسهم لعملٍ أفضل، غير أنهم يدفعون بذلك أنفُسَهم إلى أدنى، إلى طريق الخَوْف.

والذين لايعرفون السّعادَة يحجبون قوَّة حديث النَّفس بتزيين صورٍ كلاميَّة بَشِعة وغير واقعيَّة لعالمهم. إنَّهم يقولون لأنفسهم، "لاأحد يفهَمُني،" أو "إنَّ مديري مجنون،" أو إنَّ هذه المدينة مُمِلَّة."

وإني عندما يبدأ زُوّاري بجَلْدِ أنفسِهم أو الدُّنيا، أُقاطِعُهُم وأطلب منهم أن يُحَدِّثوني عن أولادِهِم. فسرعان ما تَتَغَيَّر نبراتُ أصواتِهم وينعَكِسُ اختيارُ ألفاظِهِم وتظهر حماستُهُم المُفرِطة في حديثهم عن أولادِهِم المُدهشين. عندها أقولُ لهم، "ينبغي أن تَتَحَدَّث عن نَفسِك على هذا النَّحو." فيُدركون قولي أحياناً، ويُخْطِئونَه أحياناً أُخرى.

إني أبذُلُ جهدي في استيعاب اللغة التي يتَحَدَّث فيها زوّاري؛ إنّها تبوحُ بأكثر ما يتصَوَّرون. فإذا كانت مليئةً بكلمات وتعابير مُدَمِّرَة أعرف أنَّهم واقعون في مَصْيَدَة الخَوْف، وإن كانوا يحاوِلون أن يَعكسوا صوراً من الثِّقَة.

وأنت أيضاً، تستطيع أن تكسبَ نفاذاً في البَصيرَة باستِماعِك للُّغَة بعنايَة. استَمِع إلى اللّغة بتناغُمٍ فستَعلَمُ الكثير عن النَّاس. ولعلَّ الأهَمَّ أن تستَمِع إلى لُغَتك أنت بتناغُمٍ، وبخاصَّة إلى حديثك إلى نَفْسك، فستَعْلَم الكثيرَ عن نَفْسِك.

قُوَّةُ اللُّغَة

إنَّ الذين يقعون في حمأة الخَوْف يثبتون على لغَةٍ مُدَمِّرَة. تَجِدُ حديثَهم مليئاً بـــ، "لاأستطيع،" و "لاتفعل،" و "لن." وتجدهُم يميلون إلى وَصْف أفعالِهم بِصَوْتٍ سلبيٍّ مُذْعِن. وتَجِدهم يطلبون ما يكون جوابه سلبيّاً. ويكون اختيار هذه الكلمات أحياناً لطيفاً ورقيقاً، غير أنَّهُم يشعرون بحجابٍ يمنعك من أن تقف وتَحْتَمِل الاَسْتِماع إليهم.

لقد لاحَظْتُ أن الذين يبدؤون بالتَّغَيّر تَتَغَيَّر لغتُهم أيضاً. فينحَسِر العامل السلبي، ويحلُّ الوَصْفُ الفَعّال مكان البليد الهامِد، والسؤال النافي يُفْسِحُ الطريق لسؤال إيجابي.

وبينما يستطيعُ تَغَيّرُ الحياةِ تغيير اللُّغة، فإنَّ تغييرَ اللُّغة يُغَيِّرُ الحياةَ أيضاً. إنها تُغَيِّر سُبُل الإدراك وآليّة التَّفكير. ويشمل التَّغييرُ أُموراً زهيدة كأن تسمّي أحوالاً غير مُتَوَقَّعة إمكاناً بدلاً من أن تُسَمّيها مُشكِلةً، فإنَّ ذلك يَدِّل السبيل الذي تنظُرُ به إليها كُلِّه. فعلى سبيل المثال، عندما دعوتُ ألعابَ آللي بأسماء قبيحة كالوَسِخَة، لم يُغَيِّر قولي حال الألعاب وإنما تغيَّر شعور آللي نحوَها. وكذلك إذا دَعَوْتَ رئيسَك بالمُتَحَدّي بدلاً من المُتَطَلِّب، فإن ذلك يُغَيِّر إدراكَك. إنَّ لِلُّغة قُوَّةً شديدة.

ويجْنَحُ خيالُ بعض النّاس في قوّة اللغة ويُطلقون العنان للانغِماس في إثبات التّافِه من الأُمور. ويكون الإثبات، في مُعظم الحالات، حيلاً كلاميَّة لِدَحْض ما يَجري. ولا يعكسُ ذلك الحَقيقَةَ؛ بل يُحَرِّفها ويُشَوِّهها. وربّما يكون التأكيد المألوف لِبائعٍ، "سوف أجني مالاً كثيراً اليوم." إنَّك لاتعرف، في واقع الحال، ولو تظاهرت بذلك، فإنَّك تلعب ألعاب العقل وتَضَع نَفْسَك في موضِع قد يتهاوى. وكُل ما تستطيع قوله، في الواقع، "سوفَ أَعمَلُ جادّاً اليوم." غير أنك لاتَتَطَلَّب إثباتاً لذلك — إنما يلزمُك الفِعْلُ فَحَسْب.

فإن كنتَ لاتوافِقني قَوْلي، فإني لاأعْبأ بذلك – فأنا حَسَنُ الحال، وعندي من الذكاءِ ما يَكفي.

عندما رأيتُ آللي تبكي وتُحَدِّثُ نَفْسَها بالإشارة، كُنت أستطيع أن أُلَقِّمَها الإثبات. كنتُ أستطيع أن أحُثّها على التَّغيير. غير أنَّ ذلك ليسَ القَصْدُ أبداً. فهي تَعْلم أنَّ ثمّة خطأ في حياتها، ولا يجدي الكلام في مَحْوِ ذلك.

وقَد سألتُها عِوضاً عن ذلك، "لماذا تَبكين؟"

"تقول شَري آن إن ماما وبابا يحِبّان الأطفال. لكِنَّ أبي لايُحِبُّهُم."

إنَّ ماتقولُه حَقٌ. لقد رأيت الكثير من أبيها خلال سنة مَضَت، وقَد رأيت منه ما يبعَثُ الغثيان. ليس عندَه قَدْرٌ للإنجاز الهائل الذي حَقَّقَتْه، ويُعامِلُها مُعامَلَةً خَشِنَة.

وربما يقول بعضُ المُعالِجين النَّفسيين لآللي، "لا إنَّهُ يُحِبُّك ولكن على طريقَتِه." أو يقولون، "ليسَ هذا الأمر يهمّك." أو، "لست في حاجَةٍ إليه على كُلِّ حال." غير أني لَسْتُ في قاعة مَسْرَح.

قُلْتُ لها، "إنَّ ماما تُحِبُّك."

عادَت إلى البُكاء، لكنَّ بكاءَها كان مُخْتَلِفاً.

ضَمَمْتُها إليَّ وقلتُ لها ثانِيَةً، "لكنَّ ماما تُحِبُّك."

قِصَّةُ حياتِك

قُلْتُ لِرتّا ينبغي عليها أن تَتْرُكَ زَوْجَها. إني أقول ذلك أحياناً لِبَعضِ الناس. وقد يهزُّهم كلامي هزّاً شديداً. إنَّهُم معتادون على أقوال المُعالجين النَّفسيين الذين يُحَدِّثونَهُم عن شعورِهِم، وليس عن عَيْشِهِم. إني أذكُرُ نجم تلفزيون جاءَت إلي منذُ سَنَة وحَدَّثتني حديثاً طويلاً يبلغ ٢٥ مليون كلمة أو أقَلّ عن كُلِّ الخلَل في علاقتها مع زَوْجِها وكيف تَتوق إلى أن تُحَرِّرَ نَفسها مِنهُ وعن الآلام التي سَبَّبَها لها. وفي ختام خطبتها اللاذعة قُلتُ لها، "لقد اكتَفَيْت. إني أرى أن تَتركيه."

اِسْتَغْرَبَت ذلك وغَضِبَت! كيف أجرؤ على أن أُزَعْزِعَ زواجها! إنها مازالت تعيش مَعَه، وما زالَت بائسَة، وبرغم ذلك فقد غضبت وطاشَ صوابُها من قولي لها.

كان رَدّ فعل رِتّا مُشابِهاً عندما اقترَحْتُ عليها الطلاق. كنت أراها كثيراً، فقد كُنت أُترجِمُ لها حديث آللي بالإشارة كلّما جاءَت إلى المَدْرَسَة. فما زالَت لاتعرفُ لغة الإشارة، و لم يَكُن ذلك فقط لأنَّ زوجَها قد أمَرَها أن لاتَتَعَلَّمها. فلغة الإشارة ليست سَهْلَة. فالصغارُ في المدرسة يَضحكون من لكنتي في هذه اللغة.

لقد أكَّدَت لي رِتّا أنها لاتَسْتَطيعُ طلاقَه، فليس لها مكان آخر تلجأ إليه، وليس لها سبيلٌ لتأمين عَيْشِها، ثم إنّها لاترى من العَدل لآللي أن تعيش مع أحد أبويها. كانت تَسْخَر من نَفسِها عندما ذَكَرَت السَبَبَ الأخير. فهي مُذعِنَةٌ وخاضعة لخُبْز الذُّرة، وعندها حُبٌّ وحنان. إني مُعْجَبٌ بها.

قالت، "كان الأجدر بي أن لاأتزوّج صغيرة." قالتها من أعماقها. "إنها قِصَّة حياتي." كانت أفضل جملة تُرَدِّدها. ويميل الضحايا إلى استعمالها كثيراً.

قلتً لها،"إنها إحدى السُّبُل لكي تَقُصّين قصَّة حياتِك. وهذه قصَّةٌ أُخرى، قِصَّةُ امرأة تزوَّجت وهي صغيرة، وضَحَّت كثيراً من أجلِ ابنتها، وهي تُدرك أنَّها أقوى مما كانت تَظُنُّ."

"إنّها قِصَّتي على ما أظُنّ."

إنَّ القِصَّتين حقيقيَّتان. تستطيع رِتّا أن تمضي بقِيَّة عمرها بعيش إحدى القِصَّتين. غير أنَّ السؤال أيّ القِصَّتين عَمِلَت عَمَلَها؟

إننا نسلُك سُبُلاً مُختَلِفةً لِنَقُصَّ قصَّة حياتنا. فَبَعضُها يَتَحَقَّق وبَعضُها يُخْفِق. وإني أُسَمِّي القِصَص التي تَتَحَقَّق قصصاً صحيَّةً، والقصص التي تُخْفِق أُسَمّيها قصص الرُّعب.

إنَّك عندما تُقابِل أحداً لأوَّل مرَّة، فهل تُخبِرْه بقِصَّة حياتك المُقْتَضَبَة، وهل تُخبِره بالقِصَّة الصحيّة أم تَقُصُّ عليه قِصَّة الرُّعب؟ يميلُ مُعظمُ النّاس إلى القِصَّة الصحيَّة، فلا أحَدٌ يريد أن يظهَرَ بمَظهَرٍ سيّء. غير أنَّ كثيرين لايعرفون السَّبَب. فقد اعتادوا أن يَقُصّوا على أنفُسِهم النسخةَ المُرْعِبَة فَيفشون بذلك خَوْفَهُم وَقِلَّةَ حيلتِهم، برغم أنَّهم يُسْبِغون عليها الطرافَةَ والبطولَة. إنَّهُم يحِبّون أعمالَهُم – لقد صارَعوا للحصول عليها، ولايزال العمل غير مُسْتَقِر. ويقولون إن أولادَهُم يسيرون السبيل الحَسَن – ولكِنَّهم مُراهِقون، وأنت تعلم ماذا يعني *ذلك*. إنَّهُم يُحِبّون

العَيْشَ هنا – لكنَّ العيش هنا يَخْتَلِف عن العيش في مُدُنِهم ومواقِعِهم. ثمَّ يَعْجَبُ أولئك لماذا لايُحِبّونَهُم كثيراً.

وإني، مثل أي امرئٍ آخر، أستطيعُ أن أُقُصَّ قصَّةَ حياتي الصحيَّة أو أُقُصّ قصَّةَ رُعْب – وكلا القِصّتين صحيحتان. وإليك القِصَّة الصحيَّة: لقَد تَمَتَّعْتُ بطفولَةٍفي مدينة صغيرة في غرب أمريكة الأوسَط، وأُمارِسُ الآنَ عملاً عظيماً في مكانٍ جميل. أمضيتُ مُعظَم أيامي مع أُسْرتي، نُحِبُّ الذهاب إلى الفَلاة، وأعمَل على تَغيير اتِّجاهات علم النَّفس.

وأسْتَطيعُ أقُصَّ القِصَّة على هذا النَّحو: نشأتُ في بلاد الذُّرة و لم أسْتَطِع تَحَمُّل حَرِّ البلد الذي أعيش فيه أكثرَ من نصف السَنَة، لقد رفضتُ أوهام علم النَّفْس التقليدي، وإني أعمَلُ جادّاً، أكثَرَ مما ينبغي لي، لكي أُبعِدَ علم النَّفي عن السقوط فيما لايُمتّ إليه بِصِلَة.

إنَّك إن لَقيتَني، فأيّ القصَّتين ترغِّبُك في التَّعَرُّف عَلَيَّ؟ إيُّهما، في رأيك، تُسْعِدُني أكثَر، وتمنحني القُوَّة؟

كيف تَقُصّ *قِصّة حياتِك*؟ تَوَقَّف بُرْهَةً وقُصّ على نَفْسِك القِصّة المُوجزة الآن، على النَّحْوِ الذي تَفعَله عندما تلقى النّاس. كُنْ صادِقاً مع نَفْسِك.

قُصّ القِصَّة في اتِّجاهين آخرين، القِصّة الصحيّة الكامِلة، والقِصَّة المُرعِبَة. وكُن صادِقاً مع نَفْسِك أيضاً، وإلا فإنَّك لن تتَعَلَّمَ شيئاً عن نَفْسِك.

أرجو أن تكون القِصّة التي تَقُصّها عادةً أقرب إلى القِصّة الصحيَّة من القِصَّة المُرْعِبة. فإن لم تَكُن كذلك فابدأ باستعمال النّسخَة الصحيَّة. سَوفَ تُغَيِّر نَظرَتَك إلى ذاتِك.

وإنّها ألَمَعِيَّةٌ منك أن تقُصَّ على نَفْسِك وعلى الآخرين قصصاً صحيَّة عنك فيها دقائق حياتك اليوميَّة. فإن كُنت تأتي إلى عَمَلِك في الصَّباح مُتأخِّراً فلا تُحَدِّثَنَّ نفْسَك بأنَّ مُديرُك سوفَ يَقْتُلُك وأنَّك أنت الخاسِر بتأخُّرك في النَّوْم. قُل لِنَفْسِك إنَّك سعيد لأنَّ عملك يتيح لك أن تتأخَّر في نَوْمِك بين حينٍ وآخَر، وأنّك ستحاول أن تضبط حضورَك في المُسْتَقْبَل. أما القِصَّة المُرْعِبَة فتلزمُك موْقِف الدِّفاع على خلاف القِصَّة الصحيَّة. وسيُدْرِك الناس الفَارق بين القِصَّتين.

إنّ من المُهم أن تُحَدِّثَ نَفسَك بقصصٍ صحيَّة عندما تُلِمُّ بك مُلِمَّة. وتَشْتَدُّ الأهميَّة عندما تشعر أنّك تريد أن تُحَدِّثَ نَفسَك بقصص الرُّعب، فإذا أحجَمتَ عن ذلك، فإنَّك ستُعالِج مُشْكِلَتَك بذهنٍ صافٍ وتَدَّخِرُ الطاقَة التي تحتاجُ إليها لتجاوُز المُلِمَّة. عَرَفتُ امرأً كانت أسوأ مُلِمّاتِه أن سُجِنَ في مُعَسكَرٍ ياباني لأسرى الحَرْب. وقد أوجَدَ لِنَفْسِه شكلاً لِقَدْرِ الأُمور فَدَوَّنَ

كُلَّ مارآه حَسَناً في الأسْرِ، كالصَّداقة مع السُّجناء الآخرين ووَقْت لَعِب الوَرَق. لم تَتَوَقَّف مُعاناتُه، غير أنَّه لم يَعُد يَنظُرُ إليها مثلما كانت من قَبْل.

زارتني في عيادتي امرأتان في الأُسبوع المُنْصَرِم وأظهرتا لي قُوَّة القصَص. كانتا في أواسط عشرينيّات عمرِهما، وعند كلٍّ منهما دَخْلٌ وَفير، ومُتَعَلِّمتان تَعليماً راقِياً ومُتَشابِهتان في مَظهَرِهما. وكِلْتا الفتاتين تُعانيان من مُشكلات تَظُنّان أنّها خَطيرة. فإحداهما مُصابَةٌ بسَرَطانٍ والأُخرى تُعاني من بُثور.

فَقَدَت الفتاةُ المُصابةُ بسَرَطانٍ زَوْجَها في حادث مُرور منذ زمنٍ غير بَعيدٍ. ظَنَنْت أنَّها تريدُ أن تُنَفِّسَ عن كربِها وحُزنِها. غير أنَّ الطريقة التي تَحَدَّثَت بها تَنمُّ عن امرأةٍ سعيدة! لقد نَجَت هي من الحادث، وعندها من المال ما مَكَّنها من الحصول على أفضل علاج، فكانت تَسْتَطيعُ أن تَتَحَمَّل الغياب عن عملها، وإن فُرَصَ شِّفائها من السرطان جَيِّدَة، وترى أنَّها كانت سعيدَة في مَعرفة زَوجِها. وكان جُلّ ما تطلُبُه مني أن أُخْبرها عن استعمال العَقْل في تَعْزيزِ مَناعَتِها.

كان حَديثُها بَنّاءً وكانت قصصُها صِحيَّة. ولم تكن قصصها مُضَلِّلة. كانت حقيقيّةً، وهذا ما أسْبَغَ عليها قُوَّةً.

كان عند المرأة الأُخرى حال متوَسِّطة من البُثور. وليست حالُها بالحال المُرْعِبة أو التي تدعو للعَطف، وإنما بثورٌ متناثِرَة تُغَطيها بمواد التَّجميل. ولكِنَّك عندما تَسْتَمِعُ إليها وهي تَصِفُ حالها، تَظُنُّ أنها مأساة كبرى. كانت تَصِفُ حالها كما يلي، "إني وَحْشٌ شَنيعٌ." وكانت القِصّة التي تُلَفِّقُها عن ذاتِها أن أحداً لن يُحِبّها وأنها ستُهْمَل لتموتَ وحيدةً. وكلَّما تمادَت في الكلام زادَت من هذا التَّلفيق. وبعد ساعة من الكلام أوشَكَت على أن تَجْعلني أصَدِّقها. وعندما غادَرَت، وجَدتني أرى عليها بثوراً أكثر مما رأيت عندما جاءَت.

إنها قُوّةُ الرِّوايَة.

قِصَّةُ رِتّا

انْقَطَعَ نَفَسي عندما رأيت رِتّا واقِفَةً على بابي تَحْمِل حقيبةَ ملابِس.

قالت، "لقد فَعَلتُها، لقد تَرَكْتُه."

سألتُها، "هل كان الأمرُ صَعباً؟"

"لقد صَفَعَني، إن كان ذلك ما قَصَدْتَ بسؤالِك. لم تَكُن المَرَّةَ الأُولى، غير أنّها كانت الأخيرَة."

سألتُها، "وهل ستعيشين هنا في المَدينة؟"

أجابت مومئةً بالإيجاب وقالت، "لقد ساعدتني بِكي، أُم شَري آن، في إيجاد مَسكَنٍ صغيرٍ، ووَجَدَت لي عَملاً هنا في في المكتب. إني لم أعمَل في مكتب من قَبْل، غير أني أقول لِنَفسي، إن لم تستطيعي تَرْكَ ذلك العجوز فلن تُحْسني أي شيء."

قلتُ لها، "ثابري على هذا القول مع نَفْسِك، فإنَّه حقيقة."

قالت، "أين ابنتي الصَّغيرة؟ إني لاأستطيع الصّبر حتى أُخْبِرها."

قلتُ، "سأُهاتِف مُعَلِّمتها من فَوري."

جاءت آللي مُتَرَدِّدَةً لاتَدري لماذا اقْتُلِعَت من قاعَة الدَّرس.

أشَرتُ إليها، "أنْ أُمُّك ستنقُل إلى هنا، وتستطيعين العَيْشَ معها وأنت في المدرسة."

أشارت آللي قَلِقَةً، "وأبي؟" ونَظَرَت إليَّ ثمَّ نظرَت إلى أُمّها.

لقد استَغرَبتُ أن رِتّا استطاعَت أن تُشيرَ بكلمة "أب،" وقالت لا.

تَنَفَّسَت آللي الصّعداء – يبدو أنّه نَفَس حَبَسَته طيلة حياتها – وابتَسَمَت ابتِسامَةً أشْرَقَ لها وَجْهُها.

أشارَت رِتّا إلى ذاتِها وشَبَكَت يدَيها فوق قلبها، ونَظَرت إلى آللي وقالت، "أُحِبُّك."

تكَلَّمت آللي أوَّلَ مَرَّة. كان صَوتُها رَتيباً يَصْعُب فَهْمُه، وقالَت، "حبيبتي،" ولامَسَت وجهَ أُمّها.

أمْسَكَت بيد أُمّها، فظَنَنتُ أنهما ستنفَجران بالبُكاء، غيرَ أنَّهما انفَجَرتا بالضَّحِك ورقصَتا مَعاً في دائرة.